

نجيب محفوظ

عودة الروح

ردت الروح بعد معاناة الموت ست سنوات ، رأيت المصري خلالها يسير في الاسواق مرتدياً قناع النذل ، يثرثر ولا يتكلم ، يقطب بلا كبرياء ، يضحك بلا سرور ، يتعامل مع المكان وهو غريب ، ويساير الزمان بلا مستقبل ، من حصوله عرب متقاربون وقلوبهم شتى ، واصدقاء من العالم يعطفون عليه باشفاق لا يخلو من زراية ، وعدونا يعربد ، بأسرنا في السماء ، يتحدانا في الارض ، ضربة في سوريا ، لظمة في لبنان . واسأل النفس الحزينة ما العمل ، ما المصير ؟ القتال منا يقال محال ، والاستسلام محال ، والاستنزاف لا يتوقف . ثم ردت الروح بعد معاناة الموت ست سنوات ، روح مصر تنطلق بلا توقع ، تتعلق ونحلق بلا مقدمات ، تتجسد في الجنود ، بعد ان تجسدت في قلب ابن من أبر ابائها ، تقمص في لحظة من الزمان عصارة ارواح الشهداء العظام من زعمائها ، واتخذ قراره ، ووجه ضريبته .

ووقعت المعجزة .

انتقل الجيش من الغرب الى الشرق .

بادر العرب الى العروة الوثقى .

ذهل الاصدقاء والاعداء .

استرد المواطن عهد مجده وكبريائه .

سارت مصر من عصر الى عصر ، ومن عهد الى عهد ، ومن موت الى خلود .

أيها الزعيم .

لقد وفرت السلاح ، ولعلمك بأن الانسان لا يحارب بالسلاح وحده سلحت شعبك قبل ذلك بالقانون والديمقراطية والحوار الحر .

فالى الامام . ومهما تكن العواقب فقد ردت الينا الروح والعصر والمستقبل .

الاهرام

١٠ تشرين الاول

ثورة ٦ اكتوبر

انها ثورة وليست معركة فحسب . المعركة صراع بشري ينتهي بالنصر او بغيره ، اما الثورة فوثبة روحية تمتد في المكان والزمان حتى تحقق حضارة . وهي ثورة لانها لم تكن مجرد تدبير محكم وتنفيذ متقن ، ولكنها رمز لثورة الانسان على نفسه وتجاوزه لواقعه وتحديه لمخاوفه ومواجهته لاشد قوى الشر عنفا وتسلطا . والثورة قد تنعش ولكن جذوة روحها لا تنطفئ ، فثورة ١٩١٩ كفت عن القتال المادي بعد عامين من قيامها ولكن روحها ظلت تناضل وتبدع في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة . لذلك اقول ان ٦ اكتوبر ثورة وليست معركة فحسب ، فتحت لنا طريقا بلا نهاية ، ليست معركة التحرير الا اول دفقة على بابه ، وليس العبور الا اول قفزة في تيار تحدياته ، وليس النصر الا اول نصر على عقبة من عقباته . وهو طريق يصادف الماضي فيه النجاح والفشل ، والنصر والهزيمة ، والتقدم والتقهقر ، ولكن كل اولئك مواقع وعلامات ، نمر بها وتتعلم منها ، ولا نتوقف عن التقدم ابدا .

هذه هي ثورة ٦ اكتوبر ، ثورة بطل تحرير مصر الحديثة ، ثورة الارادة والعقل والروح .

الاهرام

١٩ تشرين الاول

الدرس الاول

الدرس الاول المستخلص من ٦ اكتوبر هو الدور الذي لعبه الايمان في الصراع . الايمان عنصر جوهري في روح الامة العربية . انها تستيقظ وتنام ، تاكل وتشرب ، تجتهد وتجاهد ، تنحدي وتقاتل ، تخاصم وتهادن ، باسم الله ، بمناجاة الله ، وفي سبيل الله . لذلك فان مسؤوليتها حيال هذا الايمان خطيرة باعتباره جزءا لا يتجزأ من شخصيتها .

القيادة العسكرية كما ثبت من انتصاراتها ، وكما شهد به الاعداء قبل الاصدقاء من قوة تكتيكاتها ، آية على الكفاءة العسكرية العلمية التي أهلتها لمعركة عصرية مفقدة. والجنود الإبطل لم يهجموا ويصمدوا بقوة الإرادة والروح وحدها ولكن باستيعاب جيد للأسلحة الحديثة . نستخلص من ذلك انه لا نجاح في حرب او سلم في هذا العصر

بغير العلم ، انه الباب الشامخ الذي لا دخول الى العصر الا من خلاله . والعلم استيعاب ودراسة من ناحية وخلق وابداع من ناحية اخرى . ونحن نستوعب بدرجة محمودة ولكن يجب ان لا تقتنع بذلك ، لا بد من تهيئة المواهب والمناخ وتشجيع البحوث التي نقلنا من مستوى الدرس والاستيعاب الى مستوى الخلق والابداع . وليس الهدف من ذلك اثبات الذات فحسب ، ولكنه ضرورة حيوية للتعامل الحقيقي مع العصر ، بل هو السبيل الوحيد للاستقلال الذي نضحي بأرواحنا في سبيله . أجل لم يعد الاستقلال حماية للحدود وحفاظا على الارض فحسب ، ولا هو حتى الاستقلال الاقتصادي مضافا للاستقلال السياسي ، اذ انه ما دامت توجد اوطان مبدعة خلاقة في العلم واخرى متلقية مستوعبة ، فلا مفر من ان يكون الخلاق متبوعا والاخر تابعا ولو استقل بأرضه واقتصاده وثقافته ، سيجد نفسه في حاجة متواصلة الى استيراد الخبرة والجهاز والسلاح والدواء ، سيجد نفسه عند الشدة تحت رحمة الآخرين ، ولن يكون له وجود كريم الا اذا اسهم في الابداع وشارك في العطاء .

ولقد انهزمت ألمانيا هزيمة ساحقة في الحرب العظمى الثانية ، وقد انتصرت فيتنام في حرب التحرير انتصارا بطوليا أسطوريا ، ولكن لان ألمانيا امة علمية فما لبثت ان وثبتت الى مركز القيادة الحضارية الجدير بها . اما فيتنام العظيمة فلن تفنيها بطولتها عن طلب الخبرة والعلم من اعداء الامس .

فلنمط العلم بلا حساب وبلا حدود .
هذا ما يطالبنا به العصر .
وهذا ما يطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٧ تشرين الاول

عليها ان تدعمه ، ان نقيمه على أسس راسخة مضيئة ، عليها ان تنقيه من الخرافات ، وتصونه من الانحرافات ، ونسمو به الى الدرجات العليا من الصفاء والنقاء .

الايمان رسالتها الذاتية في وطنها الذي كان اول وطن يدعى فيه الى عبادة الواحد الاحد منذ عهد اخناتون . وطنها الذي كان بعد ذلك مهد الرسالات السماوية ، وميدان جهاد الانبياء والمرسلين . فرسانتها هي رسالة الحب والاخاء لجميع عباد الله ، لا تفرق في ذلك بين اغلبية واقلية ، ولا تعيش فيها الاقلية بفضل حماية الاغلبية وتسامحها ولكن بصفتهن اعضاء متساوين في الحقوق والواجبات في وطن مقدس واحد ، وحد اهله حب الارض والشوق الى ذي الجلال ، جميعهم مواطنون مؤمنون من درجة واحدة ، لا تمييز بينهم الا بالكفاءة والخلق .

بذلك تتحدد رسالة العالم العربي الانسانية الاخلاقية في هذا العصر ، يضرب بها المثل الاعلى للمصريين في جنوب افريقيا ، ومضطهدي الزوج في الولايات المتحدة ، والمتصبين في ايرلندا والفليبيين واسرائيل . هذا ما يطالبنا به الايمان . وهذا ما تطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

الدرس الثاني

الدرس الثاني هو الدرس المستخلص من الانتفاع الذي من العلم على جميع المستويات . القيادة السياسية تعمل بتخطيط منهجي دقيق وحكيم ، غزت به حصونا منيعة كانت تقف حتى الامس القريب مع العدو ، والفت بين قلوب عربية شتتها نزاع هوائي واهي الاساس فتحقق بذلك انجاز هام مهد الارض لمعركة مصير .

دار الآداب تقدم

العراء

مجموعة قصص

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يصدر هذا الشهر